الباب الرّابع

موزاييك

عطش

أناخه العوز على حصيرته حتّى جفّف قيظُ الأيام ريقَه، فطفق يبحث عن ماء في دلاء السّقّاءين ليطفئ ظمأه.

أغدقوا عليه بالنّهل، فابتهل وظنّ ديمومة الارتواء... طلب العَلَل فأُبعدت الدّلاء عن فمه، عندها أيقن أنّ دلاء الآخرين لا يمكن أن تبقيه مرتويا، وأنّ عليه حفر بئر تبقى مُلك يده.!

ثآليل

قالت له جدّته :
لا تُشر بيدك نحو النّجوم لئلّا يظهر ثؤلول في إصبعك .
ظلّ ليالي طويلة يشير بإصبعه نحوها، ولم يظهر شيء .
في إحدى اللّيالي صبَعَ على ابنة الجيران الحيّية، فتضاحك المارّون ورموها بحصى الشّائعات.
استفاق وقد غطّت الثّآليل إصبعه.

قال الرّاوي

اجتمع الرّاوي (الفيسبوكي) بجمهوره لسرد حكايته اليوميّة فقال:

سيكون ما يكون، وستتغيّر الأمور، حتّى مواقع النّجوم. ولن يكون ردّ وحديث أحمد وعيسى إلّا (لايكا)، وسيصبح الشّاطر حسن أجرأ من يستعمل (الهاكر) لدحض مغامرات الشّطّار، وسيستولي علي بابا على (الباسووردات)، ولن يفتح خزينة الأسرار أيّ سمسم.

جنّ جنون أحد المصغيين فأرسل (المسجات) لكلّ الأصدقاء :

نريد عودة راوي "كان ياما كان في سالف العصر والأوان"، ومشطوب اسم من لا يعلن الثّورة على راوي هذا الزّمان.

رفض

دعاني صاحبي لتناول وجبة عشاء احتفالا بعيد ميلاده .

بهرتني الأضواء والزّينة المتدليّة ثريّا جمال فوق رؤوس الحاضرين. علا صوت الموسيقا، وتوزّع كلّ وخلّه في زوايا البيت الواسع.

فُتحت علب الهدايا فعرّج نظري على إحداها واستقرّ هناك. اقترب منّي صديقي يقدّمها لي، لكنّه تركني مستجيبا لإشارة من يد أبيه. فجأة، توقّف صدح الموسيقا، وإذ بصدى زجر يخترق أذني:

ألا يكفي ما نقدّمه له من صدقات..؟!

وبلحظة وجدت خطواتي تسابق الرّيح، وبعد التقاط أنفاسي دسست إصبعي في حلقي...

استحالة

نكش معول الزّمن والعمل في يديها أتلام الشّقاء، فكان ملمسهما خشنا رغم استعمال الزّيوت المطريّة... وزاد من خشونة حياتها عدم تقدّم الشّبان لخطبتها، فمكثت على جمر أثافي الانتظار، يخنقها الغيظ كلّما دعتها إحدى الصّديقات لحفل خطوبتها .

أخيرا، جاء من يفرح القلب ويرشّ الماء على جمر الأشواق، وتزوّجت وهي في أواخر العقد الثّالث من مهندس أرمل، ونشرت مشاعل الفرح أضواءها على المقرّبين أيضا.

في عيادة أحد الأطّباء، صادفتها من عاشت وإيّاها لواعج الهموم، واستنشقت معها سناج سُرُج الفقر ، فركضت لاحتضانها شوقا وغبطة هاتفة بصوت تقطع الدّهشة بعض نغماته: صديقتي العزيزة...

تجاهلت شوقها وأخذت تلوّح بمفاتيح سيّارة (المرسيدس) وتخاطبها متفحّصة إيّاها وباستغراب:

أيعقل أن أكون أنا من معارفك؟! لا، لا، هذا مستحيل.

في السّوق

تمهّل حتّى وضع الخضريّ محتويات عربته في السّوق الغاص بمن لطموا وجهه بالخيبة حين سؤله، واقترب مادّا يده قائلا:

رمضان كريم...

أجابه: الله أكرم.

جاء شابّ ووقف أمام العربة ينتقي الخضار، وفي يده سيجارة فاغتاظ الخضريّ وصاح به: "إذا بُليتُم فاستتروا". أتجاهر بالمعصية؟

داعبت البسمة وجه المتسوّل المحبط ودنا من البائع قائلا:

" وأمّا السّائل فلا تنهر".

ابتهاج

أضاء سحر أنوار المفرقعات النّاريّة سماء البلدة، واهتزّت جدران القلب وهزّت معها مشاعر المقرّبين ابتهاجا باكتشاف الأرقام الفائزة بالجائزة الكبرى.

أخرج ما اذخره لصعاب الأيّام، وأقام الولائم، فأتخمت البطون وغابت عن أصحابها العقول لثلاث ليال في قاعات كأنّها القصور.

هدأت سَوْرة انفعاله، وارتدّ إليه اتّزانه، فجلس يخطّط ويفكر بكيفيّة استثمار ماله...

نهض نشيطا وذهب للمصرف كي يستلم الكنز . استغرب الموظّف طلبه وسأله بطاقته الشّخصيّة والبطاقة الفائزة. أمعن النّظر في الأوراق ونظر إليه قائلا:

يؤسفني أنّك رأيت العدد ستّة ثمانية .

ضجر

تململ الرّأس على وسائد الضّجر ليالي طويلة... ولمّا اكتشف صاحبه طريقة لراحته، سحبت الوسائد.

برّ

تورّمت قدماه وهو يبحث عن أفضل المدارس الخاصّة لتعليم ابنه، وتشقّقت يداه وهو يحوّل الصّخور ترابا لتوفير هناء العيش ورغده...

ولمّا شاخ تورّم جفناه بكاء لسماع سيول تأفّف ابنه، وهو يسأل مغتاظا عن مركز لرعاية المسنّين ببخس الأثمان.

هجر

قضى سنوات من عمره فاعل الحضور... ما خذل طارقا يسأل المشورة، ولا باسطا يده يريد المعونة، ولا نفسا تطلب تخفيف ما أثقل كاهلها من حمولة.

قرّر يوما أن يلتفت إلى ذاته المهجورة.. مشى في طريق تحقيق الآمال يسعى ثبورا، فوجد نفسه بعيد أيّام أسير هجر الآخرين، وخارج إطار الصّورة.

تأرجُحٌ

نامت ملتحفة لحاف الأمل، ومفترشة فراش التّعب، فكان الأوّل يرفعها بخفّة نحو سديم متموّج الزّرقة، يبثّها إشعاع الفرح، والثّاني يجذبها إليه فتتهاوى على أديم الواقع ليلتصق طينه بجسمها . شقشقت طيور الصّباح مسبّحة، فوجدت نفسها في دائرة أعجزتها عن المشاركة.

الأمانيّ

احرنجمت الأمانيّ حول موقد الشّوق للّقاء ذات ليل غشيته اللّهفة، ولمّا كان الصّباح، افرنقعت وتطايرت وجمر الموقد في فضاء الدّهشة؛ جرّاء طلقة من فوّهة مشاعر النّكسة.

قناع

جلس مع ثلّة من الأصدقاء ممّن اعتاد الالتقاء بهم نهاية الأسبوع، ورقّة الشّوق يداعب نسيمها الأنفس بعذب الكلام، وخفّة المزاح.

بعد هرج وضحك، رشق بحجارة كلامه أحد الأصدقاء، فأصابه الوجوم ولم يشأ إفساد بهجة اللّقاء، لكنّ الرّجم توالى بأقسى الكلمات فطفح الكيل، وعلت الوجوه سمات الغضب الممزوجة بالعجب.. صاح أحدهم:

ما بك اليوم؟ تبدو غريبا وحاقدا.. فسبقه لسانه قائلا:

يبدو أنّي نسيت القناع.!

ياسمينة

كانت الياسمينة شامخة تتباهى بعلوّها على رفيقتها الوردة الجوريّة، وتفخر بأريجها الذي يجذب القاصي والدّاني إليها..

شمّتها أنوف كثيرة فسلبتها الرّائحة والميزة، اعتراها الذّبول فجأة، فتهاوت منغرسة في شوكة الوردة .. تضاحكت الأخيرة قائلة:

حذّرتك وقلت لك لا تشمخي متعالية؛ لئلّا تعودي لحضني ذاوية!

دليل

اعتاد الأب أن يكذّب ادّعاءات ابنه ضدّ زوجه وقسوتها؛ نظرا لما يراه من رقّة واهتمام به وبطعامه حين حضوره.

ضاقت به السّبل، وقبع ليالي طويلة على سرير المحن، وقلبه يغلي على نار الإحن إلى أن برّدت قلبه أجمل الحيل.

اجتمعت العائلة قبالة التّلفاز، فضعفت الزّوجة أمام مشهد طفل يبكي لفقدان أمّه، واقتربت من ابن زوجها تداعب شعره ثمّ احتضنته وأجهشت بالبكاء.. بعد لحظات صمت كاد فيها الصبيّ يختنق، وإذ بجعجعة أصوات تكسر حاجز الصّمت.. بهت الجميع وحملقوا مستنكرين، فأبعدت الصبيّ عنها، ورمت بهاتفه النّقال بعيدا.

نور

البساطة من صفات أهل الحيّ ، وأذرع الفقر تحتضن أناسه، والجهل يزيد الوضع بؤسا...

وعد رجال الحيّ أحد مرشّحي البلديّة لانتخابات الرّئاسة بالدّعم والمساندة مقابل التّطوير.. وبعدما اعتلى الكرسيّ، كان همّه إزالة سواد اللّيل بأنوار المصابيح الكهربائيّة تحت شعار عصرنة الحيّ، بعد أن عانى من مشاكل اللّصوص وغيرهم..

فرح الأهالي وهلّلوا حين شعّت خيوط النور مبدّدة وحشة اللّيل المخيفة.

في الفترة الرّئاسيّة الثّانية لم يحظَ الرّئيس بأصوات النّاخبين الذين دعموه . ولمّا سئل عن السّبب أجاب:

لأنّي زوّدت الحيّ الذي عشق أهله الظّلمة بنور الكهرباء.

عوسج

وخز شوك الأحزان قلبه، وأسالت الجراح دم الكآبة.. راح يبثّ لواعج ألمه لينعم بترياق الشّفاء ولمسات أيدي الأعزّاء.. فحضّر زجاجات للتّخزين متوقّعا الإغداق والتّبجيل، ذهل حين ردّت عليه شكواه مشبعة بعوسج الملامة وحنظل الإهانة!

جاران

عاشا جارين متقاسمين لقمة العيش وأرغفة الهموم، وتمازج الدّم حين احتاج أحدهما للآخر، وتواصلت شرايين المحبّة سنين، لكنّها تمزّقت حقدا وفتّتت أواصر الصّداقة بإعلاء جدار إسمنتيّ تجاوز حدود أرض الجار، ولم يبق سوى الذّكرى، فيما صاحبها في عتم زنزانة السّجن ملقى.

عجوز

جلست العجوز قبالة مرآتها، وبيدها المرتجفة حاولت صبغ شفتيها بأحمر الشّفاه.

أمعنت النّظر فرأت أنّ الشّفتين على حالهما.. كرّرت العمليّة دون جدوى.. فتمتمت:

سأرفع دعوى ضد الشّركة التي تدعّي أنّها الأفضل في صنع المواد التّجميليّة، لكنّي نسيت اسمها الآن.

تحرّكت الشّفتان المجعّدتان ناطقتين:

ألا تسألينا؟! فنحن السّجّل الذي حمل أسماء الشّركات، وطوى الثّقل صفحاتنا!

تباهٍ

تباهت السّبّابة أمام الوسطى بأهميّتها، وكثرة عملها على أجهزة اللّمس التي تأخذها إلى عوالم رائعة بتنوّعها، فيما هي قد تستعمل للسّباب والسّخرية.

سكتت هنيهة ثمّ ردّت:

لقد خلقك الله لتشهدي على عبوديّتك له، فاستعبدتك الملهيات.

ثقة

أغراه الثّلج بتجسيد حلمه أمام معارفه، فدعاهم وشرع بنصب تمثاله العظيم على جبل الإبداع؛ مراهنا على بقائه صامدا متحدّيا شمس الرّبيع القادم.

بعد أيّام، خرجت الشّمس من مخدعها باسمة تقول:

حذارِ من نوري، فإنّه يظهر حقائق الأمور!

سخريّة

عاد من عمله، فذهل لمّا رأى بيت جاره قد تعرّض للهدم بحجّة البناء غير المرخّص، وأوجعه قلبه لسماع نحيب أهل البيت وهم يدقّون أوتاد خيمة بجانبه.

نظر إلى الصّحيفة التي أحضرها معه، بعد أن استلقى على الأريكة مهتمّا، وقرأ ما أثار ضحكته السّاخرة:

"بناء فندق للكلاب التي ينوي أصحابها قضاء العطلة الصّيفيّة خارج البلاد!"

رسالة

جلس مع مجموعة من أصحابه يتباحثون في أمور السّاعة، وما آل إليه النّاس ..

سأل صديقه الصّحافيّ:

ما هو تخطيطك في ظلّ الظّروف الرّاهنة؟ هل ستبقى مخاطرا بحياتك لتنقل تقارير ما يجري؟

أجابه متسلّحا بالثّقة:

شرف المهنة يدعوني لهذا، وأصالة الانتماء لشعبي تدفعني إليه، وغدا لا شكّ سيكون يوما حافلا... أعدك أنّي سألتقط لك صورة بطوليّة!

استأذن من الجالسين وخرج.. وما هي سوى لحظات حتّى علا الضّجيج في الشّارع، والتفّ النّاس حول أحدهم.. هرعوا فرأوا زميلهم ملقى على الأرض فاقد الوعي.. تناول أحدهم حقيبته وهاتفه، ولكنّه ذهل حين قرأ رسالة لم ترسل بعد:

حضرة مدير القسم.. وددت إبلاغكم أنّ هناك مجموعة في مطعم البرج تخطّط للتّحريض والتّظاهَر...

مكافأة

ألقى به جفاف الحاجة إلى رطوبة حضن البحر، فصاد الأسماك ليطعم الأفواه التي تولّى أمرها.

ظلّ سنين طويلة يلاطم أمواج الحياة هازما الأمواج البحريّة المعترضة قاربه، حتّى كان اليوم الذي لاطمته فيه أكفّ من يطعمهم، وألقت بقارب فضله في أعماق البحر.

شجار

تشاجر وأبناء الحيّ بسبب ما يلقونه من نفايات في الدّرب المؤدّي لبيته.. جاء أحدهم لاعنا ومهدّدا إيّاه بمضاعفة الأذى، فثارت ثائرته صارخا:

حتّى أنت أيّها الأعور تهدّدني!

مرّت أعوام، وإذ بطارق يطرق بابه، ولمّا دعاه للدّخول قال:

أنا الأعور، أتيت لأهنّئك بمولودك الأعمى!

الجزاء

خارت قواها لكثرة ما قلعت يداها من كلأ التّسوّل، فراحت تطرق باب قصر سيّدها كي يعتقها، وتحظى ببساط الرّاحة..

ظلّت أيّاما ولياليَ تشحذ عطفه، لكنّ الصّوت ارتدّ على مسامعها خوارا، ثمّ أرسلَ لها مَن يعلفها، ويعيدها عنوة إلى إحدى حظائره.

مرآة لعينة

أعجبه أحد الأقنعة فيما كان يسير في شوارع المدينة، فوضعه على وجهه وسار يضاحك من يصادفهم من معارفه..

سرّ النّاس بوجهه الجديد وكذا زوجه، فقرّر عدم خلعه.

شعر أنّ الكون أجلسه في برج السّعادة، وحلّق بجناحي الإعجاب بنفسه لما أهديَ إليه من كنوز عجّت بلآلئ إعجاب الآخرين به.. فتضاعفت مشاريعه ونجاحاته..

في أحد الأصباح، وقف أمام المرآة يبغي الاطمئنان على وجهه الحقيقيّ بعد مدّة من إخفائه، فأزال القناع ، وأصابه الذّهول لغرابة ما رأى، فراح يتلفّت في الغرفة باحثا عن شخص آخر.. ولمّا تأكّد من خلوّها، بدأ يهشّم زجاج المرآة ويصرخ:

تبّا لك! لمَ شوّهتِ وجهي هكذا أيّتها المرآة اللّعينة؟!

خواء

أسدلت عليّ الحياة الرّوتينيّة رداء الملل، فكساني التّذمّر حتّى أخمص قدميّ.. فجأة، عزفت موسيقا هاتفي منتشلة إيّاي من سوداويّة أفكاري، ليدعوني صديقي إلى سهرة تزيل عنّي أسمال الخواء..

أغراني حديثه، ولبّيت الدّعوة بشكر وامتنان.

القاعة فاخرة، وأناس زانهم بريق ملابسهم، والأيادي مشغولة بتعبئة الصّحون وتفريغها.. وعيناي يزيغ نظرهما لكثرة ما عجّ المكان بالصّور والألوان.. ولم تغرني الخيرات بالانسجام، وتضاعف الضّجيج بصوت المفرقعات اللّامعة الأضواء.

وسألني صديقي:

هل تغيّر الحال، وهدأ البال؟ فقلت:

لا أدري.. وخرجت للحديقة لأرتاح من الضوضاء، فوجدتني بين بالونات من البشر المزعجة بأحجام وألوان.

صدقة

قرّر أن يبدأ يومه بصدقة كي يردّ الأذى عن ابنه المريض.

تناول مبلغا من المال، وعطّره بأغلى العطور، ثمّ قصد سوق البلدة حيث يكثر المحتاجون..

وضع المال في يد أحدهم، ولكنّه استغرب إمساكه بيده بقوّة رادّا المال، وضاغطا عليها..

نظر إلى الرّجل فإذا به أخوه!

عقوق

أغاظها عقوقه المتواصل فقالت له ممازحة:

يا لخسارة سهر اللّيالي في العناية بك وإرضاعك!

أجاب بحنق: ما ذنبي إن كنت تشبعين أمومتك بإرضاعي؟ كان يمكنك شراء الحليب كي لا تتعبي!

اغرورقت عيناها بالدّموع، ولم تسمع صوت ارتطام رأسه بالباب لدى مغادرة البيت.

حقوق

نام على فراشه الوثير طامعا بأحلام سعيدة..

جثمت فوق صدره أجساد موظّفيه الذين استغلّهم، وأكل مالهم وراحوا يطالبون بعقابه.

أفاق وذهب مسرعا إلى خزنته؛ ليطمئنّ على ماله، فأيقظ أطفاله مذعورين ومستغربين، وهو يصيح مستنجدا برجال الشّرطة.!

تضحية

أجبره موت والده أن يحلّ محلّه لأنّه البكر، فاضطرّ لإيقاف دراسته الثّانويّة والعمل ليعيل أسرته.

واصل العمل ليل نهار ليوفّر الأقساط الجامعيّة لإخوته الذين كبروا، وكثرت طلباتهم.

تخرّج أحدهم طبيبا وذاع صيته لمهارته. وحدث أن مرّ يوما بسيّارته الثّمينة، فرأى أخاه الكبير في المحطّة منتظرا الحافلة لتنقله.. تظاهر بأنّه لم يره ثمّ أكمل سيره ..

وصلت الحافلة وهو يجفّف ماء عينيه عن أصابعه؛ لئلّا يلوّث بطاقة دفع الأجرة.

أحلام

امتطت الأحلام صهوة العجب، حين قرعت طويلا باب صاحبها، فلم يأذن لها بالدّخول، لذا قرّرت البقاء على ظهر جوادها، وإبقاءه في إسطبل رفضه.

المتّهم

سأل القاضي المتّهم:

لِمَ قتلت الفتاة ما دمت تدّعي نيّة الاغتصاب لا القتل؟

أجاب:

لأنّها قالت لي أرجوك لا تفعل بي هذا... فالموت أحبّ إليّ..

اتّصال

اتّصلت بي صديقتي تخبرني عن رغبتها في امرأة متعلّمة ومثقّفة تصلح زوجة لأخيها المطلّق، وأعطتني مهلة للتّفكير.

بتّ أتقلّب على فراش الخجل من ردّي الرّافض للعرض، ولم أستطع إبلاغها بردّي.

ولمّا عاودت الاتّصال بي أجبت بصوت متقطّع، ولكنّه أُخرِس حين قالت لي:

لقد وجدت الفتاة الملائمة لشروط أخي، والتي تقتضي أن تكون أقلّ من ثلاثين سنة، عزباء، وطويلة القامة.. فلا تشغلي بالك بالبحث صديقتي العزيزة!

الوفاء

كتبت كلمة الوفاء بلون أسود.. علّقت على أحد الجدران، ووقف أحدهم ليحرسها ويمنع النّاس من الاقتراب منها.

استغرب البعض وسأل الحارس:

لماذا تحرس كلمة قد كتبت على خرقة؟

فأجاب:

لأنّ الوفاء في فترة حداد على ذاته بسبب احتلال الغدر لمكانه!

خناجر

وضعته الحياة في أصيص صبّار أزعجته أشواكه طويلا.. بعد وخز جلد التّحمّل قرّر مغادرة الأصيص إلى حدائق الورود الشّاسعة، فأذهله الجمال، وعبق الرّائحة وراح يُزخم أنفه بشذا الأزهار..

أغرته روعة الأزهار بالاقتراب، فقطف زهرة أنسته جراحاته.. شعر بالهدوء والاسترخاء، إلّا أنّ فرط الجمال أغواه فأكثر من القطاف؛ ليجد نفسه محاطا بباقات من الورود المتزاحمة عليه أشواكها خناجر تدميه!

إنقاذ

على شاطئ بحر الإنقاذ جلس ينتظر قدوم سبع موجات هادئات لتغسله من براثن الهموم، وتزيل أثر جلد سوط الدّهر وما أبقى من بثور...

مرّت ستّ موجات غاضبات فأبعدته عن رمل الشّاطئ خوفا، وأجلسته على صخرة القنوط مردّدا دعاء القنوت، وإذ بماء الموجة السّابعة يلطم وجهه، ويبلّل جسده، فأيقظت رعدة الجسد بردا سكون الرّوح يأسا، ودعته للانتباه ومواجهة خطر الغرق، فصرخت به أعماقه:

ليس بالدّعاء وحده تكمن النّجاة، ولا بالجلوس على صخر اليأس تكون الحياة!

سواد

أدغشت الدّنيا، وأدغش قلبها حين تأوّهت شوقا وحسرة على شقيقة روحها.

جدلتا معًا جدائل الحياة متّفقتين على الإخلاص في السّرّاء والضّرّاء، فجأة أشاحت بوجهها وغادرتها، ولم تتمكّن من إرجاعها إلى حضن الوداد، فيئست وتركتها تسيح في أرض التّجاهل لجهلها بالأسباب، لكنّ حمّى الحنين أجبرتها على طلب برد وسلام الوصل، فدعت صديقة مشتركة تسألها عنها بشوق وتحنان..

تضاحكت وقالت:

أنصحك بالنّسيان لأنّي حاولت مرّة إعادتها إلى بستان الودّ والأمان فأخبرتني بأنّ قطّا أسودَ دخل بينكما، وأظلم ضياء ما كان!

تذمّر

اجتمعوا ليلا ضجرين.. لعن أحدهم حظّه لعدم إسعافه في تحقيق أحلامه.

لام آخر والديه لتقصيرهم، وعوزهم الماديّ، وبالتّالي حرمانه من التّعليم العالي.

وسخط ثالث على دولته ورئيسها لقلّة فرص العمل.

صاح ديك الفجر وهم يتذمّرون، ولمّا لاح النّهار غطّوا رؤوسهم، وغطّوا في سبات عميق!

تحدٍّ

نصحه أحد العارفين أن يعيش يومه، ويستغل كنز لحظاته قبل ضياعه...

نهض في صباح يوم جديد متحدّيا همومه كلّها، ومردّدا: سأنسى أمسي، وأعيش يومي...

ظلّ مصرّا على ذلك، وكلّما راودته فكرة أو قفزت صورة من أمسه، أعادها إلى أدراج الماضي.. في المساء وجد نفسه يكنس سجّادة يومه الجديد بمكنسة أمسه.!

محنة

عاش أيّام شبابه ساخطا على كلّ يوم واجه فيه أمرا لا يروقه؛ عادّا إيّاه محنة.. وكثيرا ما بات مشكول الفكر، محزون الفؤاد منتظرا حتّى يصله خبر يفكّه من عقال الأزمة..

لمّا بلغ من العمر عتيّا، جاءه ولده يشكو إليه همّه، ويعلّق على جدران قلبه لوحات حزنه، فثارت ثائرته، ولوّح بعصا احتجاجه صارخا:

تبّا لهذا الجيل الذي يكثر من رفع رايات المحنة، ولا يدري أنّ ابتلاءاته منحة!

مرض

اعتاد العجوز زيارة طبيب الحيّ الجديد صباح كلّ يوم شاكيا له أوجاعه وأرقه؛ ليحظى بما يسكّن ألمه.

مرّت ثلاثة أيّام ولمّا يأتِ، فافتقد غيابه وقلق عليه، وقرّر أن يزوره بعد الانتهاء من عمله، فوجده جالسا برفقة مجموعة من الأهل والأصحاب. سأله:

كيف صحّتك اليوم؟ لمَ انقطعت فجأة عن زيارتي؟ فأجابه:

لأنّي مريض يا دكتور!

واجب

لاك الدّهر العجوز وأقعدها على كرسيّ العجلات، بعد أن كانت النّحلة العاملة المغدقة على البيت من رحيق نشاطها، وجنى حكمة عمرها.

قالت لها إحداهنّ مواسية:

لا عليك ها هم الأبناء والأحفاد يخدمونك، ولا يسمحون لغول الوحدة أن يزورك.. حملقت فيها، وبسمة غامضة على شفتيها ثمّ ارتدّ صدى تنهّدها

متبعة إيّاه بقولها:

لقد أتعبتهم يا بنيّتي، ويعزّ عليّ ذلك .

فأجابتها:

هذا واجبهم وملزمون أن يقوموا به.

تضاحكت العجوز وردّت:

أرأيت؟ التزامٌ ! لا حُبّا...

نهاية

جلس على أرائك الإعزاز واتّكأ على وسائد العزّ ردحا من الزّمن، لكنّ بوصلة العمر غيّرت الوجهة، فشاخت الهمم وشحّت النّعم، وقعد يجترّ ما كان أيّام الصّبا؛ متباهيا مرّة، ونادبا أخرى..

جاءه صديق عزيز طال غيابه، فلمّا رآه هاله حاله، فخرج يسبّ ويشتم ويتفّ على الإنسان إن كان هذا مآله!

وقبل أن يمسك بباب سيّارته سقط أرضا ماسحا بكمّه بصاقه.

في الحافلة

صعد الحافلة وقد نال التّعب منه، فألقى بجسمه على كرسي مجاور للنافذة، ولشدّة إرهاقه تغمض عيناه قليلا ثم يوقظه صوت من يعتلون الحافلة، ولم يسعفه الضّجيج لاحقا من أخذ إغفاءة عميقة فشرب قليلا من العصير المثلّج علّه يصحو ولكن عبثا.. وفيما هو يترنّح ما بين اليقظة والغفوة أحسّ بجسم يلتصق بفخذه، ولم يلتفت لرؤية من جلس ملتصقا به هكذا، لكنّ الالتصاق أتبع بحركات زادت من صحوته وشعر ببعض الرّاحة عندما مدّ يده ولامست الفرو النّاعم بقربه، فراح يسبح في بحر أفكاره المتسائلة كيف سيبدأ الحديث مع فتاته الغنيّة التي جاءت بها الصدفة الغريبة إلى هنا!

استمرّ التّحرش به فقرّر المبادرة بالكلام، التفتّ فلم يجد أحدا.. نظر إلى الكرسي وإذ بقطّة تموء محدّقة به.

ليلى

ركضت ليلى مستنجدة بجدّتها لتخليصها من أنياب الذّئب الذي يطاردها، بعدما كانت تسير بتؤدة رافعة رأسها بتباهٍ، ومدندنة بأعذب الكلام ، فارتدّ صدى صراخها عن قبر جدّتها، ليوقفها مذهولة للحظات.. لكنّ صوت خفقات قلبها أعادها للغابة، فالتفتت بكلّيتها مُسَمّرةً عينيها في عيني الذّئب.

صورة

رغب الحفيد أن يفاجئ جدّه بما يفرح قلبه، فطلب من المصوّر أن يضع صورة جدّه داخل إطار مذهّب؛ لتسرّه صفرته .

دخل البيت وأصابع الفرح تداعبه، وأسرع واضعا الصّورة الجديدة مكان القديمة.

ولمّا حان موعد تأمّل الجدّ للّوحة العتيقة ولم يجدها، تبعثرت حبّات سُبحة الشّكر التي توقّعها الحفيد، حين صرخ جدّه :

مَن الأحمق الذي استبدل صورة هذا العجوز بصورتي؟!

غضب

جلست صديقتان في حديقة غنّاء تتسارّان تارة وتشكوان أخرى، فقالت إحداهنّ:

قضيت معظم اللّيل أسلّي وحدتي أنا وصديقاتي على صفحة (الفيسبوك)؛ لأنّ زوجي ليس من أهل السّهر، ولا يهتمّ لأمري كثيرا.

تنهّدت صديقتها وقالت:

وا حسرتاه! يسهر زوجي معي ولا يعتقني لحظة؛ مدّعيا أنّه غير مستعدّ لتركي أسهر وأصدقاء خلف الكواليس!

سمعت كلامهما طيور الحديقة التي ملأت الأجواء هناء، فغادرتها غاضبة تبحث عن مكان آخر.!

عتاب

جلس واهنا على مقعد ذكرياته، ثمّ راح يجوب في شوارع مدن نضارة أيّامه؛ مستحضرا نفسه الشّابة ومعاتبا إيّاها:

لمَ لمْ تلمّحي لي بخسارتك يوما ما ؟!

فأجابت: لأنّك لم تفز بي لحظة ما!

صراحة

أخذ الأوراق وذهب إلى طبيبه المختصّ لقراءتها.

حملق الطّبيب أثناء قراءة ما طبع على الأوراق، ومكث دقائق مطرقا، وأصابعه تداعب القلم، ثمّ رفع رأسه موجّها نظراته نحو مريضه قائلا:

يؤسفني أنّ ذلك المرض الخبيث قد نال من جسمك الكثير، ولا أخفي عليك أنّ موتك سيكون قريبا!.

وبضحكة صفراويّة زادت من عصفرة الوجه أجاب المريض:

ولن أخفي عليك أنّني لم أكن يوما حيّا لأموت!.

سنابل الأكمة

علّمها قيظ الحياة أن تكون بردا وسلاما ، فسارت في مناكب الأيام متحديّة الجسور، ورادمة الحفر كي تتمكن من الوصول لتلّ الأمل الذي رسمته لها ولصغارها بعد فقد زوج أسكنها في أجمة جمال الأحلام، وعلّمها كيف تظلّ قابضة على غصونها.

حين وصلت أطراف الأكمة بذرت بتربها قمح ما بقي من أمانيّ، ولما جاء وقت الحصاد لم يفطن أحد بسنبلة تقدّم لها هديّة، لكنّها أحسّت بشوكتها تنغرس في قلبها، ولّما ضايقتها كثيرا انتزعتها بقوّة وصعدت أعلى الأكمة قائلة : ستكون سنابل الأعالي أكثر حَبّا. ولن يكون أولادي أقلّ حُبّا!

مصير

ألقته أيادي الخيبة في جبّ الألم والحَيرة؛ متطلّعا لسيّارة ينتشلونه..
جفّت مياه الجبّ ولم يمرّ أحدٌ.

أوراق الورد

اعتصر (أوراق الورد) لينهل منها رحيق المعرفة، ويسير في دروب السّعادة.. مرّت الأيّام فوجد نفسه مُلتاعا بين عَذب ما نَهَلَ، ومُرّ ما جرّعه الزّمن!

فرح

صدحت الحناجر بأهازيج الفرح فانتشى الصّباح فرحا وطربا..

العروس في صالون التّجميل، والشّبان ينتظرون خروج العريس من الحمّام (وحمام الدّار) أفزعه صوت الغناء ولم يعد في (طواقيه)*.

طال الانتظار، فتقدّم أحدهم مناديا العريس، لكن لا ردّ !

بعد ساعات، استفاقت العروس على صوت النّسوة وهنّ يعددن!

*(من أغنية شعبيّة)

توبة

ألقى به فراغ جيبه الفجائيّ إلى صيد قلوب نساء لملء مشاعره التي حبسها الإلهاء الماديّ سابقا؛ موهما كلّ واحدة بأنّها حبّه الخالد!

مرّت اللّيالي الشّهرزاديّة وهو على وسائد الاسترخاء منتظرا عودة الرّخاء.

بغتة، هاجمه ضميره رافعا في وجه مغامراته سيف التّأنيب، لكنّه واجهه بترس الرّفض والوعيد مكملا المسير فيما اختاره من طريق!

استفاق ذات صباح يعاني الخواء ويشكو ما أصابه من داء، ولا يدري ما الدّواء؟!

مشى يائسا وإذ بصوت يخترق أذنيه ويدعوه للصّلاة، توقّف منصتا فأدمعت عيناه، وفاض وجهه بشرا، ثمّ همّ ليلبّي النّداء.

بعيد لحظات، سمع صفير سيارة الإسعاف، ورفعت أكفّ للدّعاء، ولم تكفّ العيون عن البكاء.!

مفاتيح

أسعده أن يجد من يصدقه القول والفعل، فسلّمه مفاتيح خزنة أسراره، وألقى بكلمة السّرّ في أعماقه! دارت الأيّام وانقطعت جبال الودّ وذرّت رياح الهجر ما كان من كلام، فابتلع الرّجل الغصّة ودعا صاحبه لإصلاح الحال، لكنّه لم يهنأ له بال مذ رأى مفاتيح خزنته معلّقة على مشاجب من عرف من الأنام.

تأديب

أبلغه أحدهم أنّ ابنه سليط اللّسان، بذيء الكلام فرفع في وجهه عصا التّهديد لمنع التّرويج، مشيرا إلى الأخلاق الحميدة التي يتمتّع بها هو وعائلته.

بدأ بمراقبته فشعر أنّ الغيرة تدبّ في قلوب من يعرفونه؛ نظرًا لما يحظى به من رهف العيش.

في صباح يوم حافل بالأعمال طلب من ابنه ذاك المساعدة، فتظاهر بعدم السّماع.. كرّر الطلب فلم يلبّه، عندها صاح به:

يا ابن ال... لماذا لا تعيرني اهتمامك؟!

دوائر

جلست على صخرة ثمّ تناولت بعض الحصيّات وألقتها في البحر.
أمتعها مشهد الدّوائر بعد رمي كلّ حصوة، فصارت ترمي بقوّة مضاعفة ليزداد اتّساع تلك الدّوائر.
فجأة، استشاطت غيظا ونهضت تبحث عن حجارة ترجم بها أحلامها التي ضاقت بها مساحة دائرة أيّامها.

رشوة

دفعوا المال الوفير لتقديم موعد العمليّة الجراحية، بعد أن فشلت الطّلبات المتكرّرة في تحقيق الأمر.

جهزّت الغرفة ودعي أمهر الأطبّاء،

همّوا بتحضير المريض للعمليّة الجراحيّة، ولكنّه وجد على سريره دون حراك .

سُرُجٌ

من ظلمات القهر انطلقت بإرادة وعزم لإيقاد السّرج بزيت اليقين لتحقيق ما ترغب فيه.

تعدّدت الدّروب وطال المسير، وأفرغت زيوت جرار عديدة، ولم يبزغ هلال الفرج.

أصرّت على الإمساك بحزمة من خيوط النّور إلى أن قادتها للجلوس تحت ظلّ نخلة الأمل. استراحت ثمّ نظرت نحو السّماء وهزّت بجذعها، لكنّها لم تساقط عليها رطبا جنيّا.

برد

الرّيح تعوي، والأطفال يصرخون، والخيام تهتزّ وتهزّ معها فؤاد الأمّ القابعة تحت خيمة مزّق بعضا منها سكّين الأنين.

امتزجت الأصوات، ولم تدرك أنّ من تحتضنها قد سكت صدرها عن الزّفير، وظلّت شفتاها مرتجفتين يحرّكهما ناب البرد، وسيف الدّعاء إلى أن لفتت الزّرقة نظرها، فهبّت تستغيث، لكنّ صوتها المرتجف ابتلعته صرخات الرّيح وما من مغيث!

حدّقت في وجه ابنتها منتحبة وصارخة :

إن التحف الضّمير الإنسانيّ يا ابنتي ببرد المشاعر، فمن أين لنا بدفء المساكن؟!

ق س ك

حزن

نظرَ زوجَ الحمام طويلا؛ فحزن لهجره!

رحيل

بعد موته؛ ساد وجه الأرض الرّخاء.

قبّعة

اعتمر قبّعة الذّكرى؛ فسبّبت سقوط شعره!

توهان

مذ أبحرنا في مراكب الأغراب؛ تهنا.

صحوة

حين صحا لذاته؛ وجد ظهره مقوّسا .

الكاتبة في سطور

كاملة حسين بدارنة من مواليد قرية عرّابة البطّوف في الجليل، بتاريخ : ٢٣/ ٣/ ١٩٦١.

أنهت المرحلة الابتدائيّة في مدرسة عرّابة (أ) للبنات، والثّانويّة في كليّة الجليل المسحيّة في قرية عيلبون عام ١٩٧٩

حصلت على اللّقب الأوّل في الأدب العام والتّربية من الجامعة المفتوحة في تل- أبيب، عام ١٩٩٤، وبدأت العمل في السّلك التّعليمي كمعلّمة مؤقّتة لمواضيع مختلفة في مدرسة (حسين ياسين الابتدائيّة) ثمّ انتقلت إلى مدارس أخرى في بلدتها عرّابة. وخلال عملها درست للحصول على لقب معلّم مؤهّل في موضوع اللّغة العربيّة. في كليّة دار المعلّمين العرب في حيفا، لتعيّن بعد ذلك رسميّا معلّمة لغة عربيّة مثبّته في مدرسة البخاري الشّاملة – عرّابة عام ٢٠٠٢، ولا تزال تعمل هناك

حاصلة عل شهادة للعلاج بالطّاقة من مركز (أوريال)

عضو في ملتقى رابطة الواحة الثّقافيّة.

عضو الاتّحاد العالمي للإبداع الفكري والأدبي(GUCIL) .

عضو اتحاد الكتاب العرب الفلسطينيين - حيفا

الإصدارات:

١. طار الطّير – دراستان في الحكايات الشّعبيّة (٢٠٠٢)

٢. زخّات المطر – قصص (٢٠١٠)

٣. ذات خريف – قصص(٢٠١٢)

٤. سباحة بين الحروف – نثريّات(٢٠١٢)

٥. المرأة الفلسطينيّة وأغنية العرس الشّعبيّة – دراستان في الأغنية الشّعبيّة النّسائية(٢٠١٣)

٦. أنسام وعواصف: جذى نثريّة وشعريّة، بالاشتراك مع الشّاعرة ربيحة الرّفاعي(٢٠١٤)

٧. قراءات نقديّة في ألوان أدبيّة (٢٠١٤)